التعريف بمختصرات «نفح الطيب»

(للمقّري)

الأستاذة : نجاة المريني

كلية الآداب ـ الرباط

من متممات تحقيق النصوص ونشرها الإلمام بالمخطوطات والكتب التي لها علاقة مباشرة بالنص المحقق كالشروح والاستدراكات والتهذيبات والترتيبات والاختيارات والحواشي والمختصرات، «فنسخة الشرح هي من جهة نسخة أخرى من الكتاب، كما أن الشروح تفيد النصوص بضبطها أحيانا وتتكفل ببيان غوامضها، وهو أمر له قيمته في مكملات التحقيق، ويليها في ذلك نسخة المختصر أو التهذيب، فإن كلاً منهما تلقي ضوءا لا يستهان به في تحقيق النص، ومن البديهي أن يرجع المحقق إلى الأصول المخطوطة لتلك المراجع « أي المختصرات أو التهذيبات» ما أمكنه ذلك، وألاّ يعتمد على المطبوعات الخالية من الروح العلمية المحققة(1). وقد سار على هذا النهج صناع الفهارس العربية أمثال المستشرق كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي»، وفؤاد سيزكين في «تاريخ التراث العربي» وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (2)، إذ أشاروا أثناء ذكر تآليف العلماء المترجم لهم إلى جميع الشروح والاستدراكات والمختصرات التي وضعت على تصانيفهم سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة أو مفقودة.

وهذا ما أخلّ به الدكتور إحسان عباس في تحقيقه لكتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» لأبي العباس أحمد المقري حيث أهمل المختصرات التي وضعت عليه، ولم يشر إليها في مقدمة تحقيقه الكتاب ولو إشارة عابرة.

أهميّة كتب المختصرات :

تتجلى أهمية المختصرات أو التلخيصات عندما يكون أصل الكتاب مفقودا، مثل كتاب «روح الشعر، وروح الشحر» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الجلاب الفهري الشهيد (ت 1246/644)، الذي ضاع ولم يصل إلينا، وقد عرفناه عن طريق أبي عثمان سعيد (سعد) ابن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي (ت 1349/750) (3) وسماه «لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر»، وهو مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1033د، وقد حققه

(1) تحقيق النصوص ونشرها ـ عبد السلام هارون، ص 45.

(2) انظر الشروح والاستدراكات والتلخيصات على كتاب الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم) للحميدي (ت 1094/488) في تاريخ الأدب العربي ج 105/6، تاريخ التراث العربي ج 221/1، كشف الظنون 600/1.

(3) قال المقري في نفح الطيب 543/5 : «كان مولعا (أي ابن ليون التجيبي) باختصار الكتب، ومن كثرة اختصاراته، قال بعضهم وقد رأى رجلا طوالا : لو رآه ابن ليون لاختصره».

الأستاذ سعيد بن الأحرش في نطاق رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بفاس سنة 1986.

ومن الكتب المفقودة «صفوة الأدب ونخبة كلام العرب» لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي (ت 1203/600)، وكان صاحبه قد اختصره وسماه «الحماسة المغربية» وحفظت لنا مكتبة طوغلوباشا بتركيا نسخة خطية من هذا المختصر تحت رقم 4079، وعنها ميكروفلم في الخزانة العامة بالرباط، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد بنشريفة في مؤلفه «أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة» ص 82. وقد حقّقه أخيرا الدكتور محمد رضوان الداية (4). وهناك مصنف آخر هو «مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا»، ألفه المؤرخ الشاعر عبد الغزيز بن محمد الفشتالي (ت 1031 / 1621)، في التأريخ لدولة السلطان أحمد المنصور السعدي، وكان يقع في ثمان مجلدات (5)، ضاعت، ولم يصل إلينا منه إلاّ مختصر الجزء الثاني لمؤلف مجهول، قام بتحقيقه المرحوم العلامة عبد الله كنون، وصدر ضمن منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي (6).

وبالرغم من ظهور نسختين من أصل الجزء الثاني من «مناهل الصفا» بخزانة القصر الملكي بالرباط تحت الرقمين 274، 5182، وعناية الدكتور عبد الكريم كريم بتحقيق هذه النسخة الأصل (7) وطبعها، فإن قيمة الكتاب المختصر تكاد تفوق قيمة الكتاب الأصل.

ويظهر أن بعض المختصرات فضلت على أصولها، «روى أبو الحسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت علي الأمهات أربعة، مختصر العين للزبيدي، ومختصر الزاهر للزجاجي، ومختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام، ومختصر الواضحة للمفضل بن سلمة».

وقد جاء في مختصر العين للزبيدي (ت 989/379)، أن الباعث على اختصاره الكتاب «أن تؤخذ عيونه، ويلخص لفظه، ويحذف حشوه، وتسقط فضول الكلام المتكررة فيه لتقرب بذلك فائدته، ويسهل حفظه، ويخف على الطالب جمعه» (8).

وتكاد المختصرات تغني عن سائر الأصول، إذ يعني صاحب المختصر بحذف الحشو والتكرار، وإسقاط مالا حاجة إليه من الأمثال والشواهد الكثيرة، كما يعني أيضا «باختصار

---

(4) ذكر العلامة المرحوم عبد الله كنون في الجزء السادس من ذكريات مشاهير رجال المغرب عن الجراوي ص 11 ـ أن المرحوم ابن تاويت الطنجي جاء بنسخة مصورة من الحماسة المغربية، حققها أخيرا الدكتور محمد رضوان الداية، وصدرت في طبعة أنيقة عن دار الفكر المعاصر في جزأين، دمشق 1991.

(5) نفح الطيب 82/7، درة الحجال 131/3.

(6) طبع الكتاب تحت إشراف معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1964، المطبعة المهدية.

(7) صدر هذا الكتاب ضمن مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة بالرباط، دون تاريخ.

(8) معجم المعاجم ص 206، نقلا عن المزهر للسيوطي، و(الواضحة) في الفقه لعبد الله بن حبيب (النفح 171/3).

وإسقاط بعض الأبيات، إذ بها من المغالاة ما يحسن تركه وتجنبه في المقالات» (9).

مختصرات نفح الطيب :

فرغ المقري من كتابه «نفح الطيب» بين سنتي 1628/1038 ـ 1629/1039، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلمائها في التعريف بابن الخطيب، واشتمل على أربعة أسفار مخطوطة. أما طبعاته فقد بلغت ست طبعات (10)، أما التحقيقات (11) فقد حقق أربع مرات، آخرها تحقيق الدكتور إحسان عباس، ويقع في سبعة مجلدات ومجلد ثامن خاص بالفهارس، طبعة دار صادر ببيروت سنة 1968/1388.

وتعد هذه الطبعة أجود الطبعات التي صدرت للنفح حتى الآن من حيث استيفاؤها لمادة الكتاب كلها، وكثرة التعليقات والحواشي المفيدة، ومقابلة النسخ الخطية، واحتواؤها على ترجمة مفصلة لصاحب الكتاب.

وقد لقي كتاب نفح الطيب في عصره وبعده استحسانا لدى قرائه من العامة والخاصة، فتناولوه بالقراءة والدرس للاستفادة والمتعة. وإذا كان قراؤه قد وجدوا فيه تكرارا واستطرادا، فقد لجأ بعضهم إلى اختصاره وتلخيصه لتعم فائدته بين الناس، ويسهل حمله، إذ سيصبح مختصر النفح سفرا واحدا بدل أربعة أسفار.

وقد أشار إلى هذه المختصرات ابن عجيبة التطواني في كتابه «أزهار البستان في طبقات الأعيان» (12)، والقادري في نشر «المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» (13) وابن سودة في «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» (14) والقادري أيضا في «التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر» (15)، والزركلي في «الأعلام» (16) والمنوني في كتابه «حضارة الموحدين» (17).

---

(9) مختصر مناهل الصفا، تحقيق كنون ص 53.

(10) طبعة ليدن 1861 ـ بولاق 1862م ـ الأزهرية 1884 دار المامون 1936 ـ السعادة 1949 ـ دار صادر 1968.

(11) التحقيقات الأربعة هي :

أ ـ تحقيق مع هوامش دون ذكر المحقق / المطبعة الأزهرية.

ب ـ تحقيق أحمد فريد الرفاعي.

ج ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

د ـ تحقيق د. إحسان عباس.

(12) م خ ح رقم 11481 ز ـ ص 307 ـ 270.

(13) تحقيق الدكتور محمد حجي وأحمد التوفيق، ج 361/3.

(14) الطبعة الأولى ص 269 ـ 270.

(15) تحقيق هاشم العلوي، ج 359/2.

(16) طبعة 2 / ج 333/9.

(17) الطبعة الأولى، ص 210.

1) تغريد العندليب على غصن الأندلس الرطيب، أو مختصر (اختصار) نفح الطيب :

تأليف : أبي الحجاج يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الميلوي (ت 1702/1114) (18) منه ثلاث نسخ : (18م)

الأولى : بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 473 ك ، في 722 صفحة من الحجم 29،50 x 19، سطورها 14، تقع في مجلد ضخم، وهي بخط مشرقي جميل بقلم مختصرها، وقد فرغ من تحرير المختصر في يوم الأحد سادس ذي القعدة الحرام، ختام عام أربعة عشر ومائة بعد الألف من الهجرة النبويّة، الموافق سنة 1702م، وقد ملكها أحمد نجل ناصر الدين الدرعي، ثم حبست للزاوية الناصرية.

الثانية : بمكتبة ابن غازي، مؤسسها محمد بن عبد الهادي المنوني الحسني بمكناس، تحت رقم 1366 (19)، وقد آلت ملكيتها عن طريق المبادلة إلى مؤسسة علال الفاس، كما أخبرني بذلك محافظها الأستاذ عبد الرحمن الحريشي، تحمل رقم 507 ع، في 711 صفحة، مقاس 28 ـ 18 سنتم، مسطرة 29، وهي منسوخة عن النسخة السابقة بقلم يوسف بن عبد الله الدريني الرفاعي، وقد تم نسخها في يوم الأربعاء تاسع شهر ذي الحجة الحرام، ختام عام أربعة عشر ومائة وألف من الهجرة 1702/1114، والملاحظ أن بين النسختين عشرين يوما فقط، وخلط بينهما صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى، وهو يترجم للميلوي (20).

الثالثة : بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 228 ك، في 628 صفحة، مقاس 28 x 19،50، مسطرة 15 سطرا، بخط مغربي، بقلم أحمد بن أبي محمد كنون الفاسي، وكان الفراغ من نسخها صبيحة يوم الأربعاء من صفر عام أربعين ومائة وألف هجرية 1727/1140، على ذمة الزاوية الحسنية الناصرية «من زناتة وادي درعة».

أوله : «الحمد لله الذي تفرد بالدوام والبقاء، وحكم على من سواه بالزوال والفناء .... الخ»

---

(18) من أدباء مصر، من مؤلفاته «أحسن المسالك لأخبار البرامك» و«بغية المسامر وغنية المسافر». انظر ترجمته في الأعلام 333/9، 637، 2/414 ـ Brok, SUP

(18م) منه نقول كثيرة في مخطوط الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية تأليف محمد بن موسى بن محمد بن محمد بن ناصر الملقب بالمكي، خ ع، 88 ج، ص 59.

(19) حضارة الموحدين ص. 210، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 269 ـ 270.

(20) ص 269 ـ 270.

وقد ألفه بطلب من بعض الأشراف بمصر نقيب السادة الطالبين حسن أفندي بن برهان الدين(21).

وعناية بالعلم، وتهمما به ورغبة في نشره والانتفاع بفائدته جعل مكتبته رهن إشارة المؤلف صاحب المختصر، وفي ذلك يقول : «لازالت أيامه باسمة الثغور، وأوقاته دائمة السرور، ونجوم سعده طالعة في أفق الكمال، برية من الهبوط والوبال، فنوه باسمي بعد الخمول، وأطلع سعدي بعد الأفول، حتى أنشدت :

إن قطر الصعيد يعدل عنـــــدي (22) كل قطر لو لم أكن فيه ضعـــت

غبت عنه والقلب ليس بســـــال عن هواه فمنذ تغربت ضعـــت

وفيّأني ظلّ كرمه الوارف، وأتحفني من كتبه بالتليد والطارف، فكحلت عيني بأثمد نقوسها، وسرحت طرف طرفي في رياض طروسها، ولم أفقد منها شيئا كنت أتمناه، وأسأل الله أن يرزقني إياه» (23).

ولعلّ دواعي اختصاره تتجلى في :

ـ موسوعية الكتاب : فهو يتضمن معلومات كثيرة، وأخبارا متنوعة «ذلك أن هذا التاريخ بحر زاخر، لا يعرف له أول من آخر» (24)، كما ينقل عن مصادر ومخطوطات نادرة ومفقودة مثل «الروض الأريض لابن عاصم» و «البقية والمدرك من كلام ابن زمرك ليوسف الثالث»، وتاريخ دولة «أبي سعيد للتاورتي»، ووقف أحد الباحثين مؤخرا بمكتبة سمو الأمير مولاي عبد الله على أصل ما نقل صاحب النفح بعضه في مخطوطة نادرة، على مؤلفات أبي علي بن موسى بن سعيد المغربي المتوفى سنة 1286/685، غير كتاب المغرب في حلى المغرب الذي حققه الدكتور شوقي ضيف سنة 1953 ـ 1955 (25).

الاستطراد والتكرار الكثير : الذي يقع في صفحات متقاربة ومتباعدة أحيانا أخرى، «لأنّ مؤلفه سقى الله قبره صوب العهاد، أكثر فيه من الاستطراد، فلا يفهمه إلا قلب صرف إليه، وعقل وقف عليه، وجسم تفرغ من شواغل البال، واحتجب عن ذوي الحاجات، وهذا من المحال». (25).

الحذف والزيادة : فالمؤلف تصرّف أثناء اختصاره للكتاب تصرفا أملاه عليه استيعابه

(21) وَهَم ابن سودة في قراءته فقال : حسين أفندي بن إبراهيم ص 269.

(22) (أ) : عني

(23) تغريد العندليب نسخة (أ) ـ ص 2.

(24) تغريد العندليب (أ) ـ ص 3.

(25) المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، ت د. عبد الهادي التازي، صفحة 19، حاشية 6

لمادته، ورغبته في إفادة الآخرين، فهو يرغب في أن يكشف بهذا الاختصار «عن وجة مخبآته النقاب، ويجلي محاسن مخدراته على الخطاب بحيث لا أحذف منه إلاّ ما يستغنى عنه، وأن أضيف إليه مالم أجده لديه» (26).

ومن ذلك قوله مثلا : «قال مختصر أصله غفر الله له : لم يذكر الشيخ المقري رحمه الله تعالى أصل قيام محمد بن تومرت، ورأيت ابن خلكان رحمه الله تعالى قد ذكر كيفية قيامه، ومبدأ أمره، فأحببت أن ألحقه هنا تتميما للفائدة، وليكون الناظر في هذا المختصر غير محتاج لمراجعة سواه، فأقول وبالله أستعين : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي صاحب دعوة بني عبد المومن بن علي بالمغرب» (27).

أما الحذف، فشمل الكثير من النقول التاريخية والنصوص النثرية والأبيات الشعرية.

أما ما ذهب إليه ابن سودة وتبعه في ذلك الزركلي من أن الميلوي أضاف إلى مختصره «بعض الفوائد مما وقف عليه في بعض الكتب، وخصوصا ماله صلة بالمغرب الأقصى» (28)، فهو غير وارد في تغريد العندليب، بل ينطبق على اختصار الحريشي، كما سنرى فيما بعد، ولعله وقع له بعض الخلط بين الكتابين وهو يعد مادة فهرسته، فنسب للميلوي ما كان عليه أن ينسبه للحريشي.

ورأينا أن الميلوي في تغريد العندليب ينقل عن مخطوط نادر ونفيس عنوانه «لطائف الذخيرة وظرائف الجزيرة» المسمى مختصر ذخيرة ابن بسام، اختصار الأسعد بن مماتي، الوزير الأيوبي (ت 1209/606)(29).

كما أن الدكتور إحسان عباس لم يعتمده في تحقيقه لكتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام الشنتريني (ت 1147/542)، رغم إيراده أشعارا ونصوصا نثرية أندلسية لم ترد في الطبعة المحققة.

من ذلك قوله : «قال مختصر أصله (أي الميلوي) غفر الله له : وهذه الترجمة مما نقلته من مختصر ذخيرة ابن بسام، قال مختصر الذخيرة : هو أبو مروان علي بن حمود الإدريسي العلوي .... » (30). انتهى كلام المختصر.

هذا، وقد جعل الميلوي للمختصر خاتمة ترجم فيها لمصنّف الأصل أي «المقري» وذكر نسبه وعلمه ورحلته، ومن اجتمع به في رحلته، كما اشتملت أيضا على ترجمة جماعة من الأولياء

(26) تغريد العندليب (أ)، الصفحة 4.
(27) تغريد العندليب (أ)، الصفحة 155، وانظر كذلك 125 ـ 126.
(28) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 269، الأعلام 333/9.
(29) مخطوط بكلية الآداب جامعة القاهرة / المكتبة المركزية، تحت رقم 22976.
(30) تغريد .. (أ)، ص 127، 128، وانظر كذلك أمثلة أخرى في الصفحات 227 ـ 228.
(31) تغريد (أ)، ص 722.

والصالحين، وقصائد في مدح خير المرسلين (31).

ويختم بهذا الدعاء : «واجعل هذا المختصر خالصا لوجهك الكريم، موجبا للفوز بالنعيم المقيم، واحرسه من عين الحاسد، وصنه من عيب الناقد».

أبواب المختصر :

رتب المؤلف الميلوي مختصره على ثمانية أبواب «تفاؤلا بأن يكون سببا للفوز في المآب، وعملا يوجب النجاة يوم العرض، والدخول إلى جنة عرضها السماوات والأرض» (32).

الباب الأول : في حد جزيرة الأندلس ومسافتها، وطيب أرضها ولطافتها، وذكر ما بها من الآثار، وما فيها من المعادن والأحجار، وموقعها من الأقاليم السبعة بقول مختصر.

الباب الثاني : في كيفية فتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق وكيفية أخذها من يد ملكها لذريق الكافر المارق، وذكر من نزلها من قبائل العرب والتابعين، وفيه فصلان.

الباب الثالث : في ذكر من وليها من النواب بعد موسى بن نصير إلى أن استقل بها بنو أمية الذين ساروا فيها على أحسن سيرة إلى أن انتثر عقد الخلائف باستيلاء ملوك الطوائف، ثم استئصالهم على يد يوسف بن تاشفين إلى آخر دولة الموحدين، وفيه فصلان أيضا.

الباب الرابع : في ذكر شيء من ترجمة وزرائها، وبلغاء شعرائها، ومالهم من النظم المزري بعقد الجمان، وما أنعم الله به عليهم من فصاحة اللسان، وما بها من المنتزهات، وما حازته من محاسن الصفات.

الباب الخامس : في ذكر من رحل من أهل الأندلس إلى الشرق، فحاز في ميادينها قصب السبق.

الباب السادس : في ذكر من دخل الأندلس من أهل المشرق فأصبح غصن فضلهم بعد التصويح مورق.

الباب السابع : في ترجمة لسان الدين بن الخطيب، وما له من النظم والنثر العجيب، وذكر شيء من مبدإ أمره، وما تجرع من غصص دهره أواخر عمره.

الباب الثامن : في استيلاء الكفار على تلك الأقطار، واستغاثة من فيها من المسلمين بملوك الأقطار ومالهم في ذلك من رائق النثر ورقيق الأشعار.

---

(32) تغريد العندليب (أ) ص 6.

2 ـ مختصر (أو اختصار) نفح الطيب لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الحريشي الفاسي (33) (ت 1732/1145) :

لهذا المختصر ـ حسب ما وقفت عليه ـ نسخة وحيدة مخطوطة بالمكتبة الزيدانية بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 11393، تقع في مجلد واحد في ست وثلاثين ومائتي ورقة (236)، مقاس 23x18 سنتم، وتضم كل صفحة ستة عشر سطرا، أما الخط فهو مغربي ملون، وليس به مايدل على تاريخ كتابته (34). ويرى المصنف في ديباجته أن المقري «قد أطنب فيه بما لا غرض للأكثر فيه، مع كثرة التكرار، وإنشاد الأشعار، والإتيان بحكايات وأخبار، لم تصح عن الجهابذة الأخيار، مع موشحات في التشبيب والغزل، مما لا يليق بأهل الفضل، بل بأهل البطالة، ومن أطلق العنان فيما صعد من الكلام ونزل سيما فيما يتعلق بالوزيرا بن الخطيب السلماني من نسبه ومولده ونشأته وبنيه، وما قاله أو قيل فيه، فأردت اختصاره إن شاء الله تعالى على مهيع سهل وطريق قربى مختصرا فيه على الأكيد منه، مع ضميمة زوائد، وغرر وشوارد» (35).

يتميز هذا المختصر بالإيجاز الشديد، والاقتصار على اليسير من الشعر، وفيه أخبار مهمة عن تنقلات المؤلف بين مدن المغرب كمراكش التي زارها مرارا عديدة، وزار فيها قبر أبي العباس السبتي (ص 154 ب)، كما ذكر فيه ارتساماته عن الشخصيات التي اتصل بها، ويأتي فيه بحكايات ونوادر ومرويات عن شيخه أبي المكارم محمد سيدي عبد القادر الفاسي (ت 1691/1083) (ص 165 أ)،(ص 183 ب)، وما قاله من أشعار في الحمام (ص 145 أ).

ـ الزيادات والفوائد :

كما ضمنه فوائد كثيرة مثل : ما ورد في يوم الأربعاء من أقوال وأحاديث شريفة (ص 70

---

(33) ـ الحُرَيْشي ـ بضم الحاء وفتح الراء وسكون الياء، وآخره ياء النسب ـ الفاسي دارا وقرارا ومنشأ، عالم ومدرس وجيه، أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وولديه الإمامين أبي عبد الله محمد وأبي زيد عبد الرحمن، كان لصاحب الترجمة إقدام على التصنيف، فشرح الموطأ للإمام مالك، والشفا للقاضي عياض، وشمائل الترمذي، واختصر كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني، ونفح الطيب للمقري، وتخريج أحاديث النصيحة، وله غير ذلك، وممن أخذ عنه سيدي أحمد بن المبارك، وكان يحدث عنه بسنده عن شيخه سيدي عبد القادر الفاسي عن عمّ أبيه سيدي عبد الرحمن عن الشيخ القصار عن سيدي رضوان عن سفيان عن زكرياء عن ابن حجر بسنده إلى البخاري،

قال ابن عجيبة في كتابه أزهار البستان : «وهذا سندنا بواسطة شيخنا سيدي التاودي بن سودة عن ابن المبارك ... وبعض أهل عصره لم يذعنوا له ولم يسلموا له، وأكثروا عليه من القيل، توجه صاحب الترجمة للحج، وتوفي بالمدينة، ودفن بالبقيع الشريف».

انظر ترجمة الحريشي في : أزهار البستان في طبقات الأعيان لابن عجيبة، م خ ح رقم ص 307 ـ 308، نشر المثاني 361/3، فهرس الفهارس 253/1، 255، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمؤمنين من الأنساب لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري المدني، خ ع 1221 ك / ص 114 ـ 116.

(34) فهارس الخزانة الملكية 280/1.

(35) ورقة 2 ب.

ب ـ 71 أ)، وقدوم العلامة أبي يحي الشريف التلمساني، وتصديه لقراءة التفسير في مجلسه بفاس الجديد (ص 57 ب)، ومحاسن القاضي المنذر بن سعيد البلوطي (ص 58 ب)، وخصال الأمير يعقوب المنصور وفضله وعمله وزهده (ص 155 ب)، وذكر من دخل الأندلس من التابعين (ص 23 ب)، وما وجد بطليطلة من الذخائر أثناء فتح الأندلس (ص 24 أ ـ ب) والزيادة التي وقعت في مسجد قرطبة (ص 57 ب، 58 أ). يقول الحريشي : «لما وقعت الزيادة في مسجد قرطبة، ظهر لعلماء الوقت المعدلين انحراف في القبلة القديمة إلى نحو المغرب، فقال الفقيه الصالح أبو إبراهيم : يا أمير المؤمنين إنه صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة وصلحاء المسلمين وعلماؤهم منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت، وليس هؤلاء بأولى من نصبها من التابعين كموسى بن نصير، وحنش الصنعاني وأمثالهم، رحمهم الله، وإنما فضل من فضل بالاتباع، وهلك من هلك بالابتداع، فأخذ الخليفة برأيه وقال : نعم ماقلت». ونحو هذه الواقعة، وقعت بفاس في محراب جامع القرويين من الخلاف (ص 58 أ) «لما أمر أمير الوقت الوطاسي ببناء مدرسة الحلفاويين المعروفة الآن بمدرسة الصفارين، وعين لبناء مسجدها وإقامة قبلتها الفقيه معدل الوقت الشهير بابن الحباك، وجعل مسجد المدرسة على نحو الكعبة طولا وعرضا، وأقام قبلته بالرصد، وظهر مخالفة قبلته لقبلة القرويين، فجمع الأمير المذكور فقهاء وقته واستشارهم في هدم محراب القرويين، وإقامة قبلته على قبلة المدرسة المذكورة، فأفتوه بنحو ما أفتى به الفقيه أبو إبراهيم، غير أنهم قالوا : يجعل رجل ينبه بعد إقامة الصلاة يقول : انحرفوا بانحراف الإمام، وجعلوا له مرتبا، فبقي الأمر كذلك إلى الآن، وبنحو ما وقعت به الفتوى أفتى العلامة شيخ الجماعة أبو عبد الله القوري» (36).

وأضاف الحريشي قائلا : «ولقد حولت في هذا الوقت قبل فاس نحو العشرة، كانت محاربها على محراب القرويين مع قلة من يتعاطى علم التعديل، فلا حول ولا قوة إلا بالله على ما شاهدناه» (37).

ويظهر أن الحريشي كان مولعا بالتدقيق في كثير من المسائل المتعلقة بالقضايا الدينية فنراه يشير إلى عناية السلطان المولى الرشيد العلوي بإقامة قبلة مسجد الشراطين، فيذكر بتفصيل قصتها قائلا : «ولما أراد فخر السلاطين مولانا الرشيد قدس الله روحه إقامة قبلة مسجد المدرسة التي أحدثها بالشراطين، بعث شيخنا الإمام خاتمة الأعلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي، فذهب مع ولده الفقيه سيدي عبد الرحمن، وكان معهما من الموقّتين الفقيه الموقّت سيدي مسعود بن سيدي عبد القادر الصليط، وكنت ممن حضر معهم، فأقيمت قبلتها على ما هي عليه الآن، فهكذا ينبغي عند نصب كل قبلة، أن يحضر مثل من ذكر إن وجد، وإلا فأمثل مقلد، والله

---

(36) انظر كتاب : «نظرة بعض المتأخرين لمحراب مسجد القرويين لمجهول» مخطوط خ ع، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق رقم 73/368 ق / 220 ر، إقليم الرباط.
(37، 38) ص 58 أ، ب.

الموفق بفضله» (38).

ومن بين الفوائد والإضافات التي احتواها المختصر: إسلام الشاعر الأندلسي إبراهيم بن سهل، وتوبة الزمخشري من الاعتزال، (ص 165، 166 ب)، وإيراد أشعار كثيرة للفقيه أبي القاسم بن جزي (ص 6 أ)، وآخر من نزل الأندلس من العرب (ص 24 ب)، وفوائد ابن العربي في تفسير الآيات القرآنية، وفائت على بعض تواليفه (ص 70، أ ـ ب)، يقول الحريشي: «ولأبي بكر بن العربي مؤلفات أخرى لم يذكرها المقري ها هنا، والأولى سوقها، فمنها التفسير الكبير في عدة مجلدات، وآخر شرع فيه في مناسبة آي القرآن» (39).

ومن الزيادات التي تضمنها مختصر الحريشي أنه يبدي رأيه في بعض العلماء وفي بعض الأشعار، من ذلك قوله: «ولقد تسليت بهذا الذي اتفق لأبي بكر بن العربي الذي كان مجتهد وقته، وحافظ عصره عما أقاسيه من أهل عصري عند ذكر ما لا اطلاع لهم عليه من الفوائد البديعة عن سوء أدبهم، وإطلاق ألسنتهم وحسدهم» (40).

كما أن الحريشي حلّى مختصره بمقطوعات وقصائد شعرية من نظمه مثل: «قلت وقد سنح في خاطري سوق قصيدة صدرت مني في صغري لما مات الفقيه الجليل العلامة النبيل النحوي النحرير أبو زيد عبد الرحمن بن عبد السلام الحريشي خامس عشر من جمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف، لما أدخل قبره، لم أتمالك أن قلت عند ذلك:

ألا للرزايا ما تعيد وما تُبـــــــدي	ولله ما يحوي حشاي من الصـــــدّ
لقد خانني دهري وأعقب بالجفـــــا	وقد سام قلبي بالقطيعة والبعـــــد
وألبسني ذل الهوان ولم أكـــــــن	لأحمله ثقلا ولو صرت في لحـــــد
لقد زاد صبري واستزاد بي الضنـــــا	ونار الحشا في القلب زادت على الحـد
ولما رأيت الموت ينزل دائمــــــــا	ويقصد أهل الخير والفضل والزهـــد
كفقد إمام العصر شمس سمائـــــــه	وبحر العلوم الناهج سبل الرشـــــد
أبي المجد عبد القادر الفاسي الرضـى	له دان من بالشرق والغرب والهنـــد
ولا رزء في الدنيا أشد مضاضــــــة	من أهل النهى والعلم يفنون بالبنـــد
فهم أنجم زهر وأحلام منهـــــــج	وأقمار آفاق لمن جاء يستهـــــدي
فلست ألوم مقلتي على البكـــــــا	عليهم ولو سالت دماء على خـــدي

(39) ص 71 ب، 72 أ.
(40) ص 72 ب.

... ولولا الفنا جار على الخلق كلهم وأن البقا يختص بالواحد الفرد

لمت أسى من لوعتي وتحرقي ومما عراني من فراق أبي زيد

هو العلم الحبر الحريشي ذو الرضى بحار علوم غير مدركة الحد

أبا زيد من يُحيي مآثرك التي تجلّ عن الإحصاء والذكر والعد

أبا زيد من يُحيي الرسوم التي عفت من الفقه والإعراب من خيرها يسدي

أبا زيد من للنحو بعدك من فتى بحوره من غير جهد ولا كد

أبا زيد من للدرس بعدك في الورى فما يغني عن عمرو لدينا ولا زيد» (41)

تشتمل القصيدة على تسعة وعشرين بيتا، أبدى فيها لوعة وتحسرا على فقد العلماء الأعلام، وعلى الرزية التي يصاب بها الناس في فترات تكون الحاجة فيها ماسة إلى آراء العلماء وتوجيهاتهم، وكذلك إلى علومهم ومعارفهم. فبالرغم من كون الحريشي نظم قصيدة في رثاء الفقيه الحريشي، فقد تذكر العالم الفقيه عبد القادر الفاسي، فرثاه في هذه القصيدة مبديا فجيعته في العالمين، بل وفي كل العلماء الذين تتخطفهم الموت تباعا، دون أن يغفل وقع المصاب عليه واستسلامه أخيرا لقضاء الله وقدره.

كما أورد الحريشي صاحب المختصر قصيدة له في التوسل تتضمن سبعة وثلاثين بيتا، قدم لها بقوله : قلت : وقد منّ المولى الكريم بجري أبيات على لساني متطفلا بها على جنابه العلي، فمن توسل بها بعزيمة وعلو همة، فالمرجو والمظنون من كرمه تعالى قبوله، مطلعها :

وأنت الذي عظمت قدر محمد بإسرائه ليلا لسبع سماوات

...فيا منقذ الغرقى ويا سامع النجوى ويا كاشف البلوى تدارك برحمات» (42)

ويبرز البعد النقدي في اختصار الحريشي في مستويين :

المستوى الأول : ويتجلى في التنبيهات والانتقادات التي كان يوجهها للمقري مباشرة، ويعبر عنها بوضوح تام في مثل قوله :

أولا : قال المقري : «وقد ذكروا أن يحيى الليثي سأل مالكا عن زكاة التين، فقال له لا زكاة فيها، فقال : إنها تدخر عندنا، ونذر إن وصل إلى الأندلس أن يرسل إلى مالك سفينة مملوءة تينا فلما وصل أرسلها، فإذا مالك مات.

قال الحريشي : وهذا مخالف لما تقدم من أن يحيى لازم مالكا حتى مات فيما ذكره ابن

---

(41) ص 137 ب ـ 138 ب.
(42) ص 65 أ، 3 ـ 174 أ.

الفرضي، فالله يعلم بالصحيح منهما ، قال ابن بشكوال : كان يحيى مجاب الدعوة، واحدا في هديه وسيرته على حالة مالك، وتوفي سنة 234 هـ» (42).

ثانيا : «قال المقري : قال الحميدي : ومن شعره على ما ذكر هنا :

لقاء الناس ليس يفيد شيئـــــا سوى الهذيان من قيل وقـــال

فأقلل من لقاء النـــاس إلا لأخذ علم أو إصلاح حـــال

قلت : والذي كان يتقدم لي، وهو ما في نفسي أن البيتين لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي» (43).

ثالثا : «قال المقري : قال أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي :

إذا سألوني عن حالتـــي وحاولت عذرا فلم يمكـــن

أقول بخير ولكـــنه كلام يدور على الألســـن

وربك يعلم ما في الصـــدور ويعلم خائنة الأعـــين

قلت : وهو من المعنى ما قال بعضهم :

وقائلة كيف حال البقـــا وكيف البقاء بذي الأزمنـــه

فقلت بخير ولكنـــه كلام يدور على الألسنـــه» (44)

فالحريشي يشير عند إيراد البيتيين إلى بيتين آخرين تضمنا نفس المعنى لشاعر يظهر أنه متقدم عن الشاعر البطليوسي.

رابعا : لقد وقع الحريشي في أخطاء أثناء اختصاره لبعض الأخبار، وإن كان حريصا على التصويب والتّدقيق، من ذلك أنه نسب قصيدة لأبي الربيع سليمان الموحدي في مدح ابن عمه يعقوب المنصور، نسبها خطأ إلى السرخسي أو إلى يعقوب المنصور، لأن الضمير كما سنرى في النص غير واضح على من يعود ، والقصيدة في الحقيقة لأبي الربيع سليمان الموحدي، يقول الحريشي : «حدث الإمام تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن حموية السرخسي (45) عن حال الأمير يعقوب المنصور، وأن الذي علم من حاله كان يجيد حفظ القرآن، ويحفظ

(43) ص 143 أ ـ وقد أخطأ الحريشي في نسبة البيتين إلى الغزالي، إذ أكد لي الباحث الأستاذ عبد العزيز الساوري أنهما للحميدي الأندلسي (ت 1094/488)، كما وردا في ديوانه المخطوط، والذي قام بجمعه معتمدا في ذلك على مصادر عديدة.

(44) ص 14 ب.

(45) انظر ترجمته في الأعلام للمراكشي ج 198/8 ـ 200 رقم الترجمة 1154.

متون الأحاديث ويتقنها، ويتكلم في الفقه كلاما بليغا، وكان فقهاء الوقت يرجعون إليه في الفتاوي، وله فتاوي مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده، وكان الفقهاء ينسبونه إلى المذهب الظاهر، وقد صنف السرخسي (عطف الذيل في دولته وسيرته). وأخبره بعض عماله أنه فرق في الجند والفقراء يوم العيد ثلاثا وسبعين ألفا من ضأن ومعز، واستخلف ولده محمدا وقرر الأمر له، قال صاحب النفح : وما يحكى عن يعقوب المنصور هذا أنه تخلى عن الملك زهدا فيه، ورحل للمشرق فغير صحيح عند الإثبات، وسبب ذلك ولوع العامة به فكذبوا عليه، ومن شعره في ابن عم المنصور :

هبت بنصركم الرياح الأربـــــع ... وجرت بسعدكم النجوم الطلـــــع

واستبشر الفلك الأثير تيقّـــــنا ... أن الأمور إلى مرادك ترجـــع (46)

وبالرجوع إلى كتاب نفح الطيب (47)، يورد المقري القصيدة كاملة بعد الأخبار التي سيوردها تحت عنوان «رجع إلى أخبار السرخسي : وقال في رحلته لما ذكر السيد أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي (ت 604 هـ)، وكان في تلك المدة يلي مدينة سجلماسة وأعمالها... ومن شعره المشهور قصيدة يمدح فيها ابن عمه المنصور يعقوب : هبت بنصركم الرياح الأربع»، وهكذا فالمقري لم يخطيء في نسبة القصيدة إلى صاحبها، وإنما أخطأ صاحب المختصر.

وجاء في تنبيه صاحب المختصر على هذه القصيدة : «قلت : فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مبالغة الشعراء في المدح والهجو، ولقد كنت أنا جالسا مع شيخنا الإمام خاتمة الأعلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي يوم الجمعة بجامع القرويين، وقد سأله بعض على قول بعض الشعراء في مدح الأمراء : أيجوز أن يقال ملك الحقيقة لا المجاز، فأجبته قبل أن يتكلم الشيخ بأن الحقيقة باعتبار الملوك الذين تقدموا قبله، فنظر إليّ شزرا وقال لي : كيف تصنع في قول الآخر، فاحكم بما شئت فأنت الواحد القهار، فالشعراء لا يتحاشون فيما يقولون» (48).

المستوى الثاني : ويكمن في تفسير آراء المقري والتعليق عليها.

أولا : قـال المقـري : «ومنهم أبو بكر مـحـمـد بن خلف بن سليـمـان الطرطوشي

(ت 402 / 1011)، ودخل يوما على الأفضل بن أمير الجيوش فوعظه، وكان إلى جانب الأمير رجل نصراني فأنشده :

(46) ص 155 أ، القصيدة في الديوان ص 20.
(47) تحقيق الدكتور إحسان عباس ج 107/3
(48) ص 156 أ.

يا ذا الذي طاعته قربـــــة وحقّه مفترض واجـــــبْ
إن الذي شرفت من أجلـــــه يزعم هذا أنه كـــــاذبْ

وأشار إلى النصراني فأقامه الأفضل من مكانه، انتهى ما قال في النفح من هذه الحكاية، قلت : والذي كان يتقدم لنا عن شيخنا الإمام سيدي عبد القادر الفاسي عقب ذكر هذه الحكاية أن الأمير طرده من مجلسه وأمر بقتله» (49).

ثانيا : ويلجأ الحريشي إلى تفسير الأقوال التي كان يعتقد أنّها غامضة في النفح، مثال ذلك : قال صاحب النفح في ترجمة الشيخ الإمام أبي عبد الله القرشي :

«سمعت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن طريف يقول : لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لأصحابه : اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة، واجعلوا ثوابها لي، فإنه بلغني أنها فداء كل مؤمن من النار، قال : فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له، ثم حكى عن شيخه أبي زيد القرطبي ما حكاه السنوسي عنه في أواخر شرح صغراه، وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كون ما ذكر حديثا ، ولعلهم أخذوه من جهة الكشف، والله أعلم» (50) انتهى.

«قلت : انظر ما معنى قوله : إنهم أخذوه من جهة الكشف، هل وجدوه في اللوح المحفوظ أو في صحف الملائكة التي بأيديهم مما يكتبونه من علوم الغيب أو من شيء يقع في صدورهم فيخبرون عنه، أو لما يشاهدونه لبصائرهم فيخبرون عنه، وهذا معنى الكشف عند أهله، والله أعلم بغيبه، أو أنهم رأوا النبي (صلعم) مناما أو يقظة فأخبرهم بذلك قبل أن يسألوه أو بعده، وقد اتفق لشرف الدمياطي أنه سئل عن حديث من أكل مع مغفور غفر له، فقال لم يصح، فرأى النبي (صلعم) في النوم، فسأله عن هذا الحديث، هل قاله أم لا ، فأجابه عليه السلام بأن لم يقله، ولكني أرجو أن يكون كذلك، فالله أعلم ما الذي أراد هذا الرجل بقوله أخذوه من جهة الكشف».

ثالثا : قال المقري في النفح أثناء الحديث عن ابن خلف الأنصاري (51) : «حتى قيل لو لم يكن للأندلس غير شذور الذهب لكفاهم دليلا على البلاغة، ومؤلفه علي بن موسى بن علي بن محمد بن خلف الأنصاري الجياني نزيل فاس، ولي خطابتها ، ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب، وقد قيل فيه إن لم يعلمك صنعة الذهب علمك صنعة الأدب، وإن فاتك حسبه لم يفتك أدبه، وهو شاعر الحكماء، وحكيم الشعراء، توفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة» (52).

---

(49) ص 139 أ ـ ب، انظر النفح ج 87/2.
(50) ص 75 ب، 76 أ ـ انظر النفح 55/2.
(51) انظر النفح ج 606/3 ـ مختصر الحريشي ص 169 أ ـ ب.
(52) أخطأ الحريشي في نقله عن النفح، إذ جاء في النفح، ثلاث وتسعون وخمسمائة.

قلت : على التعريف بشذور الذهب، وهو تأليف من الشعر، قصائده قوافيها على الحروف، وقال فيها : لكل حرف من حروف المعجم قصيدة، وربّما صنع في الحرف أكثر، ضمنه علم الكيمياء بألغاز وفيه من عذوبة النظم وسلاسة اللفظ والجري على أسلوب المفلقين كالمتنبي وأمثاله، فإن فيه نفسه ما يحقق أن ناظمه من أكابر العلماء الفصحاء الحكماء الشعراء الأدباء، وليس الخبر كالمعاينة، ولا الوصل كالمباينة».

رابعا : «قال المقري في ذكر الشاعر أبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي، وأوصى أن يكتب على قبره ما أنشده في حياته :

سكنتك يا دار الفناء مصدقـــــا   بأني إلى دار البقاء أصيـــــــر

إلى أن يقول :

وأعظم ما في الأمر أني صائــــر   إلى عادل في الحكم ليس يجـــور

فيا ليت شعري كيف ألقاه عنـــدها   وزادي قليل والذنوب كثيـــــر

فإن أك مجزيا بذنبي فإننـــــي   بشر عقاب المذنبين جديـــــر

وإن يك عفو ثم جود ورحمـــــة   فثمّ نعيم دائما وســــرور (53)

قلت : وكثيرا ممن كان من العلماء يأمر بالكتب على قبره بموعظة كهذه، أو أمر غيره بالدعاء له بعد موته كما فعل ذلك مالك بن المرحل إذ قال :

زر غريبا بمغـــــرب   نازحا ماله ولـــــي

تركوه موســــــدا   بين ترب وجنــــدل

ولتقل عند قبــــره   بلسان التذلـــــل

رحم الله عبـــــده   مالك بن المرحـــــل

وليس هذا من المنهيّ عنه، وإنما هو فيما يكتب بما هو مذموم، وأما ما يكتب أيضا على مقابر الصالحين من التعريف بهم وذكر مناقبهم فإنه مما يستحسن، لأن في ذلك صونا لقبره من دثوره، والمرور عليه، وإذا تهدم بودر إلى إصلاحه، وأيضا فإن المار بقبر يعرف بصاحبه قد يقف عنده للدعاء، ويذكر الله تعالى، وقد يكون ذلك سبب هدايته وصلاحه، والله الموفق بفضله»(54)

---

(53) البيت في النفح بهذه الرواية ج 3 / 297.

وإن يك عفو من غني مفضـــل   فثم نعيم دائم وســــرور

(54) ص 142 أ ـ ب.

هذا، وقد قسم المؤلف كتابه قسمين :

القسم الأول : فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار، وفيه ثمانية أبواب:

الأول : في وصف الجزيرة من حسن هوائها واعتدال مزاجها، وفيما اشتملت عليه من نباتها،

الثاني : في فتحها على يد موسى بن نصير وطارق مولاه

الثالث : في بعض ما كان بالأندلس من العز السامي والفخز والقهر للعدو الكامل.

الرابع : في ذكر قرطبة وجامعها الأموي والزهراء والزاهرة.

الخامس : في بعض من رحل من الأندلس إلى بلاد المشرق من الأعلام

السادس : في من وفد إليها من غيرها من الأعيان

السابع : في ما منّ الله به على أهلها من توقد أذهانهم، وحوز قصبات السبق في أشعارهم وصنائعهم.

الثامن : في تغلب العدو الكافر على الجزيرة، وما وقع بين الفريقين من الحروب الكثيرة حتى تضعضع ملك الإسلام بها، وتسلطت يد العدو الكافر على أهلها.

القسم الثاني : في ثمانية أبواب أيضا، وكلها في لسان الدين بن الخطيب، وقد لخصها في أربع ورقات (من ورقة 194 ب ـ 198 أ)، وخص مشايخه بست عشرة ورقة (من ورقة 198 أ ـ 214 أ)، وقد أهمل الحريشي ذكر موشحات ابن الخطيب ومصنفاته وتلاميذه وأولاده، منتقلا بسرعة إلى التعريف بسيدي الحاج بن عاشر (214 أ) والتقائه المشهور به بمدينة سلا، وأتبعه بمناقب الشيخ أبي العباس أحمد بن جعفر السبتي (223 أ)، وختم الحريشي مختصره بالمسألة الزنبورية التي جرت بين سيبويه والكسائي (232 أ)، وبعض الأشعار التي وردت في الجزء الرابع من النفح المطبوع (55)، أما فائدة الخاتمة أو الزيادة التي ختم بها مختصره فما حكاه عن العلامة ابن غازي : «هل يقال ماذا أم لا»، وما دار فيها من كلام بين مالك بن المرحل وابن أبي الربيع السبتي النحوي مذيلة بمقطوعة شعرية له، لما بلغه نعي أبي حيان النحوي.

ويلاحظ أن الحريشي أهمل في هذا القسم التبويب الذي اعتمده في القسم الأول كما جاء في مقدمة الكتاب، وإنما اعتمد على سرد المعلومات، وعلى الانتقال من موضوع إلى آخر دون التنبيه إلى ذلك، بل يتضح من المخطوطة نفسها أن العناية التي صرفت إلى القسم الأول ـ من حيث الخط والترتيب وإبراز العناوين بالمداد الأحمر ـ لم يصرف ولو أقلها للقسم الثاني، إذ كان

---

(55) تحقيق إحسان عباس.

مستعجلا فيما يبدو، وهو يلخص معلوماته ويقدمها للقاريء، مكثرا من الاستطراد والانتقال من الحديث عن شيوخ المقري إلى الحديث عن جده وعن حظوته عند السلطان أبي عنان المريني إلى الحديث عن مدينة سبتة وجمالها «فهي العروس المحلى، وتنبيه الأصباح الأجلى، تبرجت تبرج العقيلة، ونظرت وجهها من البحر في المرآة الصقيلة (ص 210)»، ثم تحدث عن مكناسة الزيتون وعن آثارها والمدرسة الكبيرة «الرائقة الصنع التي أمر ببنائها السلطان أبو الحسن المريني... » الخ، منبها إلى كتاب ابن مرزوق عن السلطان المذكور...

ويتضح من خلال القراءة المتأنية لهذا القسم أن الحريشي لم يلتزم بالمنهج الذي سطره في مقدمة اختصاره، مما جعل معلوماته متداخلة في أغلب الأحيان، وأسلوبه مضطربا.

3 ـ مختصر نفح الطيب : تأليف أحمد بن زيني دحلان(56) (ت 1304 / 1886)، لم يذكره أحد ممن ترجم للمؤلف، وكان قد ذكره عبد السلام بن سودة في دليله ص 270، رقم 755، الطبعة الأولى، وقال : «وقد بلغني أنه طبع أخيرا».

4 ـ اللؤلؤ المصيب من نفح الطيب : تأليف أبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني(57) (ت 1953/1373)، ذكره عبد السلام بن سودة في دليله ص 270 / رقم 754، الطبعة الأولى، وقال : «طبع الجزء الأول منه سنة 1346 هـ موافق 1927م بتطوان ولم يتم طبعه»، غير أننا لم نقف عليه مطبوعا أو مخطوطا.

وأخيرا، فإن كتاب نفح الطيب لقي اهتماما من قرائه في المشرق والمغرب، فانصرف إليه اهتمامهم، قراءة وتلخيصا، ولعلهم انتبهوا إلى الإشارة العابرة التي أوردها المقري نفسه في كتابه عندما تحدث عن المؤلفات المستحقة الذكر عندما قال (58) : «التأليف المستحقة للذكر، والتي تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها ومن بينها : إما لشيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن

---

(56) ـ فقيه مكي مؤرخ، ولد سنة 1817/1232 م، تولى مهمة الإفتاء والتدريس ببلده، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة، فطبع فيها بعض كتبه ومات في المدينة المنورة، من تصانيفه : الفتوحات الإسلامية، مجلدان، الدرر السنية في الرد على الوهابية ط 1950، الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين، انظر ترجمة دحلان في الأعلام للزركلي: 129/1 ـ 130 ـ ط 1979/4.

(57) ـ ولد بتطوان سنة 1288، وبها نشأ وقرأ القرآن والعلوم الإسلامية والعربية، ثم ارتحل إلى فاس، فقرأ على شيوخها ثم رجع إلى بلده تطوان فتولى وظيفة العدالة، والفتوى والقضاء والوزارة... من مصنفاته «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تقريب الأقصى من كتاب الاستقصا، وحواشي على بهجة التسولي»، انظر ترجمته في تاريخ تطوان ق 1 م 50/1-58 .

(58) ـ نفح الطيب ج 176/3، كما وردت نفس الإشارة في كتاب أزهار الرياض، ج 34/3.

(59) ـ أزهار الرياض ج 35/3، 36

يخل بشيء من معانيه».

ففي إشارة المقري إلى المختصرات ما يثبت أن في عمل مختصري النفح فائدة ومتعة، وتقريبا للكتاب من العامة، فعمدوا إلى اختصاره، وفي أزهار الرياض أورد المقري ثناء الإمام أبي عبد الله الأبي على مختصر ابن عرفة الفقهي «الذي أعجز معقوله ومنقوله الفحول»، كما أورد المقري أبياتا لأحدهم في مدح المختصر المذكور (59) :

إذا ما شئت أن تدعى إماما فخذ في درس مختصر الإمام

تنال به السعادة والمعالي وتضحي ظاهرا بين الأنام

كتاب قد حوى من كل علم كبستان سقي غيث الغمام

فدع عنك السآمة وادرسنه ومن عينيك دع طيب المنام

وحل بدره جيد المعالي تفز بالخلد في أعلى مقام

هذا، وقد قصدت بهذا العرض المتواضع أن أضع بين يدي الباحثين والدارسين عنصرا من عناصر المقارنة والمفارقة بين ما يقرأه الباحث في أصل نفح الطيب، وما يقرأه في مختصراته...